التمهيد

التمهيد

إن البيئة لها تأثير واضح على كل من يعيش فيها، وإن حاولنا فهم أي شخصية فلابد من معرفة البيئة بكل ما تحويه، وبكل ظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية؛ لأن الشخصية متأثرة بها بسبب انخراطها فيها، ولذلك وجب عليّ تعريف البيئة التي نشأ فيها أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني؛ لبيان جوانب حياته وعلمه ومصنفاته؛ لأنه يعد علامة بارزة في عصره ، وخاصة أنه تتلمذ على يد عالم فذ، وهو أبو الفتح عثمان بن جني، وتأثر بآرائه فنعم المعلم ونعم المتعلم.

أولاً: الحياة السياسية:

نشأ الثمانيني في فترة كانت الخلافة العباسية فيها ضعيفة جدا، وازداد نفوذ الأتراك، وانقسم العالم الإسلامي وتشقق، وظهرت دويلات عديدة تنفصل كل واحدة عن الأخرى، وحدث ذلك في عام (٤٢٤هـ)[١].

ومن هذه الدويلات دولة بني حمدان التي ظهرت في الموصل وديار بكر، وظهرت الدولة الفاطمية في مصر والشام ، أما بلاد خراسان فحكمها الغزنويون ، وأما دولة بني بويه فظهرت في العراق سنة ٣٣٤هـ.

وضعفت سلطة الخليفة العباسي حتى أصبح لا أمر ولا نهي له، وصارالأمر كله بيد السلطان من بني بويه، كما ضعفت حكام بني بويه، وانهارت دولتهم، ما أدى إلي دخول السلاجقة بغداد عام ٤٤٧هـ[٢].

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية لآدم متز ١/ ١، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٧٨ (حوادث ٤٢٤هـ).

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير ٨/ ١٢٢ (حوادث ٤٥٠هـ).

الحياة الاجتماعية:

في العصر العباسي امتزجت الثقافات الفارسية والهندية والرومانية واليونانية بثقافة العرب، وذلك لاختلاط هذه الشعوب بالعرب، وكانت العراق أكثر الأقاليم اختلاطا في عناصر السكان، وهذا الاختلاط والتباين سبب متاعب وأخطارا عديدة، وأدى إلى ظهور عادات غريبة ليست من الإسلام في شيء.

وما سقوط هيبة الخلفاء والوزراء،وفساد الإدارة والتباين في التركيبة السكانية، أدى ذلك إلى ظهور الفتن، وشاع الفقر بين العامة ووقعت المجاعات حتى أكل بعض الناس الكلاب والحمير[١].

وظهرت في هذا العصر فتن عصيبة، وخاصة بين أهل السنة والشيعة،وكان حكام بني بويه يساعدون في تأجيج تلك الفتن لأطماعهم السياسية ، وقضت هذه الفتنة على أناس كثيرين، منهم فقيه الشيعة محمد بن النعمان ، ومن علماء السنة ابن الأكفاني، وأبو حامد الإسفراييني فكلهم قُتِلوا بسوء ما صنعته أحداث بغداد[٢]. كما ظهرت في هذه الفترة أيضا طائفة المعتزلة التي وصفها البعض بأنها طائفة كافرة[٣].

الحالة الثقافية والعلمية:

يعد العصر الذي عاش فيه الثمانيني من أزهى العصور وأبهاها؛ إذ ازدهرت الحياة الثقافية؛ إذ كان عصر الثمانيني من أزهى العصور الإسلامية قاطبة ؛حيث توافر أساطين العلم، وازدهرت فروع المعارف، و جلّ المؤلفات الأصيلة في كل فن قد ألفت في هذا العصر

---

(١) انظر: الحضارة الإسلامية ١/ ٤٠.

(٢) انظر: المنتظم ٨/ ٢٣٥.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/ ٤٢.

سواء فى التفسير، والقراءات، وعلم الكلام، وعلوم الآلة، والرياضيات، والطب، والهندسة، والفلك، والأدب، وغيرها.

وكان لكثرة عدد السلاطين والأمراء في أنحاء المملكة الإسلامية أثر كبير في النهضة العلمية، حيث تنافس الملوك والأمراء في تقريب الأدباء والشعراء والعلماء، إضافة إلى أن عددًا من الأمراء كانوا أدباء أو علماء أو شعراء[١].

وقد تنوعت العلوم والمعارف في هذا العصر، فكما ازدهرت علوم اللغة والأدب والفقه والكلام والتاريخ ازدهرت علوم مثل الطب والرياضيات والفلك والفلسفة، وظهر مجموعة من العلماء الأفذاذ الذين ملأوا الكون شهرة وعلما، وذاع صيتهم، وبرزت مصنفاتهم ، وتلقفها الخاصة والعامة من أمثال الطبري، والمتنبي، والفارابي، والأصفهاني، وابن النديم، وكذلك برز أدباء في هذا العصر من مثل الصاحب بن عباد، وابن العميد، وأبي هلال العسكري، وأبي علي القالي، والأزهري صاحب كتاب «التهذيب»، والجوهري صاحب كتاب«الصحاح»، وابن فارس صاحب كتاب«المجمل»، وابن دريد، وحفل هذا العصر بالعديد من النحويين من مثل أبي إسحاق الزجاج، وابن السراج، وابن الأنباري، والزجاجي، والسيرافي، وأبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني، وابن جني، وغيرهم.

وخلاصة القول : إن العلم في هذا العصر تطور، وارتقى في جميع مجالاته، بالرغم من أن الحالة السياسية شهدت اضطرابا وضعفا ، وكذلك الحالة الاجتماعية التي شهدت حقدا وفتنا.

ونشأ الثمانيني، وعاش في هذه البيئة المتناقضة الضعيفة سياسيا، والمزدهرة علميا وثقافيا، ما أدى إلى تنوع معارفه وسعة ثقافته، وسعة ثقافته، ورجاحة عقله، وتعدد اتجاهاته الفكرية[٢].

---

(١) انظر: يتيمة الدهر للثعالبي ١/ ٩٢٨.

(٢) انظر: معجم الأدباء ٦/ ٢٥٦، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، وإنباه الرواة ١/ ٢٣٦.

حياة الثمانيني

اسمه:

عمر بن ثابت بن إبراهيم بن عمر بن عبد الله الثمانيني النحوي الضرير الموصلي[١].

ويكنى أبا القاسم، وينسب إلى (ثمانين) وهي قرية من قرى الموصل، والموصل مدينة عريقة في الحضارة والمعرفة، بعد أن استوطنها العرب ازدهرت فيها حلقات العلم، ومجالس العلماء في شتى أنواع العلوم، و(ثمانين) تقع في طرف الموصل شمال جزيرة ابن عمر عند جبل الجودي الذي رست عليه سفينة نوح- عليه السلام- بعد انتهاء الطوفان، وسميت القرية بالثمانين؛ لأن عدد من كان على السفينة، ونزل فيها ثمانون[٢].

مولده:

أغلب كتب الطبقات والتراجم تغفل عن ذكر سنة ميلاد العلماء؛ إذ لم تحدد لنا تاريخ مولدهم، ولكن غالبا ما تذكر لنا سنة الوفاة، وذلك بعد أن يذيع صيتهم، ويكونوا من أعلام عصرهم، والثمانيني هو أحدهم؛ فلم تشر لنا كتب التراجم شيئا عن مولده، ولا عن الفترة التي عاشها، ولكن هناك بعض الشواهد والاجتهادات التي كتبت عن السنة التي ولد فيها الثمانيني؛ فقد ذكر الأستاذ الدكتور فتحي علي حسانين في رسالته لنيل درجة الدكتوراه بعنوان «تحقيق كتاب شرح اللمع لابن جني»للثمانيني أن ولادته ما بين سنة (٣٧٠- ٣٧٥هـ)، واجتهد أيضًا الدكتور إبراهيم البُعيمي في تحقيق كتاب الثمانيني«شرح التصريف» فحدد السنة التي ولد فيها؛

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢٠/ ٣٥، نزهة الألباء ص٣٥٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، والمنتظم لابن الجوزي ١٥/ ٣٢٦، البداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٧١٧، بغية الوعاة للسيوطي ٢/ ٢١٧، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص٢١٩، وشذرات الذهب ٣/ ٢٦٩، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٧٩، وكشف الظنون ١٥٩٣.

(٢) انظر: معجم البلدان ٢/ ٨٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٧١٧، ٧١٨.

فقال: فإذا كانت سن الثمانيني عند وفاة شيخه ابن جني ثلاثين سنة يكون على ما قررناه ميلاد الثمانيني عام ٣٦٢هـ، وتكون سنه عند وفاته عام (٤٤٢هـ) ثمانين عاما[١].

وهنا أرجح ما ذكره الدكتوران الفاضلان أن ولادته قد تكون ما بين (٣٦٢هـ و٣٧٠هـ) مما يؤهله في هذه السن من تلقي العلم على يد عالم من علماء العربية في عصره، ألا وهو أبو الفتح عثمان بن جني الذي توفي عام (٣٩٢هـ)، ومما لا شك فيه أن الثمانيني قبل ملازمته شيخه ابن جني قد تعلم القراءة، وحفظ كتاب الله- عز وجل- وحفظ الشعر، وتعلم مبادئ اللغة العربية من نحو وصرف حتى يتسنى له تلقي العلم على يد شيخه، فلابد أنه قد تجاوزت سنه الخامسة عشرة أو العشرين عاما، ومن ثم لزم شيخه ابن جني فترة ليست بقصيرة لتؤهله فيما بعد من شرح بعض مصنفاته[٢].

نشأته:

لم تسعفنا كتب المصادر بالمعلومات عن نشأته الأولى لكي نستطيع من خلالها أن نتعرف على البيئة التي احتضنت هذا العالم الجليل، والذي أفاد الكثير من علمه، وعلى الرغم من سعة اطلاعه في شتى علوم اللغة وسعة ثقافته فإن الغموض قد اكتنف الثمانيني، وطوى السجل طفولته، فلا نعرف على يد من تعلم مبادئ القراءة، ورسم الحروف، وحفظ القرآن، وحفظ الشعر، وغيرها من العلوم الأخرى، إلا أن كتب التراجم قد اتفقت على أنه ضرير، فربما أصيب بالعمى من مرض أصاب عينيه فأفقده البصر، فأعطاه الله- سبحانه وتعالى- حدة السمع وقوة الحفظ؛ ما جعله يتفوق على المبصرين، بل أصبح أستاذهم

---

(١) شرح اللمع لابن جني للثمانيني مقدمة المحقق ١/ ٢٢- ٢٣، وشرح التصريف للثمانيني مقدمة المحقق د. البعيمي ص٦٣- ٦٦.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، ومعجم الأدباء ١٢/ ٩١،

ومعلمهم بعد شيخه ابن جني، حتى لقب بالنحوي لبراعته في علم النحو وقدرته على تسهيل مسائله، وبسبب فقده بصره آثر الثمانيني العزلة والابتعاد عن مخالطة الناس زاهدًا قانعًا بملازمته لشيخه ابن جني ينهل من علمه، وبعد وفاة شيخه تصدر لتدريس العلم، يأخذ الأجرة على تعليمهم النحو والصرف والأدب؛ لأنه كفيف البصر، ولا يجد صنعة غيرها فأصبح أحد أئمة العربية، قال ابن الجوزي: «هو الذي شرح اللمع، وكان غاية في ذلك الفن، وكان يأخذ على ذلك أجرا»[(١)]. بينما كان زميله ابن برهان العكبري يقرأ النحو على خواص الناس، بينما عامة الناس تقرأ النحو على الثمانيني[(٢)].

ثقافته:

كان عصر الثمانيني- رَحِمَهُ اللَّهُ- عصرا ثقافيًّا تشع من أرجائه شتى العلوم، فكانت بغداد آنذاك نبراسًا يهتدي إليه طلاب العلم، وكان الثمانيني أحدهم ينهل من البيئة التي انتقل إليها، فلازم شيخه ابن جني يأخذ من علمه، فأصبح حاذقا بارعا في صناعة علم النحو والصرف حتى فاق أقرانه ومعاصريه، فمصنفاته التي شرحها تنمي لنا مدى اختزانه علمًا وافرًا في شتى العلوم، فبقدر ما سطع نجمه في علم النحو كان أيضًا ضليعًا في علم اللغة، فمن خلال مصنفاته نجده واسع الاطلاع في علوم اللغة، ودلالة الألفاظ، واللغات، واللهجات، وشرحه للمفردات اللغوية وأصولها والتراكيب الغريبة واشتقاقاتها، وكان- رَحِمَهُ اللَّهُ- أيضًا أديبًا فاضلًا فقال عنه ياقوت: إمام فاضل وأديب كامل، فروايته للشعر، واستشهاده بالشواهد الشعرية في مصنفاته تدل على فهم دقيق واستدلال وثيق لكلامه[(٣)].

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٢٦، وانظر: الأعلام في كتاب معجم البلدان ص٤٤٥.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، ونزهة الألباء ص٣٥٠.

(٣) انظر: معجم البلدان ٢/ ٨٤.

١ - ثقافته النحوية والصرفية:

نتيجة تتلمذ الثمانيني على يد ابن جني الذي يعد رائدا في علم اللغة والنحو، ولو تفحصنا في علم النحو لوجدنا ابن جني من المبدعين فيه الذين ابتكروا وأجادوا وأحسنوا ، وتلمذة الثمانيني على يد هذا العالم أهله أن يستفيد منه الكثير، حتى صار علما بارزا في النحو والصرف، وكونه شرح كتابي شيخه ابن جني «اللمع» و«التصريف» أهله ذلك لأن يكون من العلماء الأفذاذ حتى فاق زملاءه ومعاصريه.

وقال عنه ابن خلكان: «شرح كتاب (اللمع) لابن جني شرحًا تامًا حسنًا، أجاد فيه، وانتفع بالاشتغال عليه جمع كثير»[(١)].

واستشهاد الثمانيني بآيات من القرآن وبالأحاديث النبوية وبأبيات الشعر يدل على ثقافته الواسعة، وكذلك ذكره لآراء النحاة، ومسارد أقوالهم في كتابه يدل على معرفة واسعة بالتراث النحوي، ولا يخفى علينا من وراء عباراته ما يكشف عن معارفه، فالأحكام معللة لديه بمصطلحات أصول النحو كالقياس والاستحسان والتعادل والتقاص وخلع الأدلة والاتساع، فضلًا عن بيان العلة والعامل فيها[(٢)].

ولا يخفى عن قارئ كتبه مذهبه النحوي ، فهو بصري المذهب ، وهذا ما أثبته في ثنايا الرسالة عند تناولي للمسائل النحوية في الأبواب النحوية المختلفة، ظهر ذلك أيضا من خلال المصطلحات التي استخدمها ، والآراء التي أيدها والتعليل الذي سلكه في رده كلام الكوفيين ودحض حججهم،ووصفه لبعض آرائهم بالشاذ؛ فقد قال مثلًا في نصب المضارع

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣، وانظر: شرح اللمع ١/ ٢٥، والفوائد والقواعد ص (و، ز).

(٢) انظر: الفوائد والقواعد ص (ز).

بـ(حتى، واللام)، وهذا ما لا يقوله أحد[١] مع أن الكوفيين قد قالوه[٢]. كما منع حذف حرف النداء مع النكرة واسم الإشارة ذاهبًا في هذا مذهب البصريين، وقد ذكرنا القول في هذه المسألة في المنادى[٣].وما يدل على أنه بصري المذهب - أيضا- استخدامه المصلحات النحوية لدى البصريين؛ حيث أطلقوا على اسم الإشارة (الاسم المبهم) فقال: «ومثال المضاف إلى الاسم المبهم: دار هذا، وزوج تلك، وغلام أولائي»[٤]، وهذا ما أطلقه على الاسم الموصول - أيضا- فقال: «ويجوز تشديد نون التثنية في المبهم كله، هذانّ، وتانّك، واللذانّ، واللتانّ»[٥].

وأحيانا يذكر رأي البصريين في المسألة ويشعرك أنه ليس منهم كقوله : «والتأنيث عند البصريين إنما وقع بالتاء، فإن وجدت في كتبهم يقولون ما أنث بالهاء، فذاك مجاز لا حقيقة، وإنما حملوا هذه العبارة على الخط والوقف، لا على الحقيقة»[٦].

وإذا كان الثمانيني وافق رأي البصريين في أغلب المسائل النحوية ، ومن ذلك قوله في وجه إعراب التثنية والجمع: «والصحيح مذهب سيبويه أنها حروف إعراب، وليس فيها إعراب لا ظاهر ولا مقدر»[٧]، وقوله في إعراب الأسماء الستة: «فإن قيل: فهل هذه الحروف إعراب أو حروف إعراب؟.

---

(١) الفوائد ص٥٢١، وشرح اللمع ٢/ ٦٨٥.

(٢) الإنصاف ١/ ٥٧٥، ٥٩٧، شرح الكافية الرضي ٢/ ٢٢٣، ائتلاف النصرة ص١٥٣.

(٣) انظر تفصيل المسألة في الفوائد والقواعد ص٤٤٤.

(٤) الفوائد ص٣٩٤، وشرح اللمع ٢/ ٥٦٥.

(٥) الفوائد ص٤٣١، وشرح اللمع ٢/ ٦٠٢.

(٦) الفوائد ص٦١٢، وشرح اللمع ٢/ ٧٧٨. وانظر شرح المفصل ٥/ ٨٩.

(٧) الفوائد ص١٤٠، وشرح اللمع ١/ ٣٠٦.

قيل له: لا يجوز أن تكون إعرابًا»[١]، فإنه لم يلتزم بالمذهب البصري في جميع آرائه وترجيحاته، بل كان أحيانا يفند بعضا من آراء البصريين، وينحو على غير نحو البصريين، معتمدا على رصانته العلمية، واجتهاده وكثرة اطلاعه وثقافته، وقد تفرد بآراء خاصة به على خلاف مذهب البصريين.

ولعل المتصفح كتب الثمانيني يلمس اتساع معرفته النحوية ودقته العلمية؛ حيث يسند الآراء لأصحابها النحويين الأوائل، من مثل عيسى بن عمر (ت١٤٩هـ)، والخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ)، ويونس (١٨٢هـ)، وقطرب (ت٢٠٦هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ)، والأخفش (ت٢١٥هـ)، والسيرافي (ت٣٦٨هـ)، وغيرهم.

والذي يلفت نظرنا ويدعو للعجب أنه لم يذكر آراء شيخه ابن جني مع شدة اتصاله به وقوة علاقته معه، وتتلمذه على يديه إلا في القليل من المسائل.

كما أنه خطأ بعض الآراء وضعفها بناء على رأي رجحه، أو استدرك رأيا، أو بين أن غيره وهم في هذا الرأي، مثل قوله: «واعلم أن قومًا قد أدخلوا في باب التعجب (هو أفعل منك)، و(هو أفعل الناس)، وهذا غلط، وإنما للتعجب لفظان: ما أفعله وأفعل به وهما فعلان»[٢].

كما قال : إن بعض النحويين يجيز تقديم الحال على الجر والمجرور من مثل: مررت راكبا بزيد، وعلق الثمانيني على ذلك بقوله: وهذا الذي ذكره ليس صحيحا.[٣]

كما أنه خالف سيبويه أيضا عندما أجاز –الثمانيني– النصب والرفع في :يا أيها الجاهل

---

(١) الفوائد ص١١٤، وشرح اللمع ١/ ٢٧٧.

(٢) الفوائد والقواعد ص٥٦١، وشرح اللمع ٢/ ٧٢٥.

(٣) انظر الفوائد والقواعد ص ٣٠٤، وشرح اللمع ١/ ٤٧٥

ذو التنزي". حيث أجاز سيبويه الرفع فقط[١].

ومما سبق يتضح لنا أن الثمانيني نحوي أصيل لديه أمانه علمية ، وعقلية راجحة ، لا يقبل أي رأي ، ولا يحاكي أو ينقل من الآخرين نقلا أعمى، ولم يؤيد أي رأي عبثا، وإنما بفكره الثاقب وثقافته الواسعة أيد ما يتماشى مع الدليل والعقل ، وعارض وخطأ ما لا يتماشى مع الدليل النحوي ، وما ليس لديه علة قوية، وهذا يبرز لنا شخصيته العلمية الفذة.

٢ - ثقافته اللغوية والأدبية:

إن المطلع في كتب الثمانيني يجده قد امتلك ثقافة لغوية كبيرة؛ حيث فصل في أقسام الكلام وشرح العديد من المفردات اللغوية والتراكيب اللغوية، ولمسنا ذلك عند تناوله الشواهد النحوية من شعر وقرآن وحديث ، فشرح الغريب من ألفاظها والغامض منها ، كما ذكر كثيرا من لهجات القبائل العربية، وبين الآراء النحوية والصرفية التي ترتبت على هذه اللهجات، ونسبها إلى قائليها .[٢]

وبالنسبة لثقافته الأدبية فقد ذكر أصحاب التراجم أن الثمانيني كان أديبا بارعا؛ فقال عنه ياقوت: «إمام فاضل، وأديب كامل»[٣]، وقال عنه الصفدي: «كان إمامًا فاضلًا وأديبًا كاملًا»[٤].وقال السيوطي في ترجمة أحد تلامذته (ابن الفتي الحلواني): «قرأ الأدب على الثمانيني»[٥]،

---

(١) انظر الكتاب ٢/ ١٩٢، والفوائد والقواعد ص ٤٥٨ وشرح اللمع ٢/ ٦٢٧

(٢) انظر الفوائد والقواعد ص٣، وشرح اللمع ١/ ١٥٣.

(٣) معجم الأدباء ٦/ ٧.

(٤) الوافي بالوفيات ٢/ ٤٤٣.

(٥) طبقات المفسرين ص١٣. وانظر: بغية الوعاة ٢/ ٢١٧.

والقارئ لكتب الثمانيني يلتمس تمكنه الأدبي من خلال إكثاره من الشواهد الشعرية في كتبه، وتمكنه من تحليل معانيها، وفهم أسرارها الأدبية.

وقد ذكر ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد قطعة من أربعة أبيات لسَيْدُوك(عبد العزيز حامد الواسطيّ) الشاعر رواها الدَّسْكري عن شيخه الثمانيني، وهي:

إذَا مَـــا قَطَعْـــتُمْ لَـــيْلَكَمُ بمُـــدَامِكُمْ ... وأَفْنَيْـــــتُمُ أيَّـــــامَكُمْ بمَنَـــــامِ

فَمَـــنْ ذَ الّـــذي يَرْجُـــوكُمُ لمُلِمَّـــةٍ ... وَمَـــنْ ذا الـــذي يغْشَـــاكُمُ لسَـــلامِ

كـــأَنَّكُمُ لَـــمْ تسْـــمَعُوا قـــوْلَ حـــاتِمٍ ... ولَـــمْ تمْلِكُـــوا نفْسًـــا كـــنَفْسِ عصَـــامِ

وَلَـــمْ تعْلَمُـــوا أنَّ اللِّسَـــان موَكّـــلٌ ... بمَـــدْحِ كـــرَامٍ أوْ بِـــذَمِّ لِئَـــام[1]

(١) الأبيات من بحر الطويل، وانظر: ذيل تاريخ بغداد ٥/ ٥٥.

أقوال العلماء فيه ومكانته العلمية:

كان الثمانيني ملما بالعلوم اللغوية، فقد كان نحويا فاضلا، عارفا بقوانين النحو وقواعده، وكان عارفا – أيضا – بعلم اللهجات والصوتيات وعلم الدلالة ، ما أهله ذلك ليتصدر علماء عصره، وجلس يدرس قواعد النحو بأسلوب ميسر ، ما جعل الناس يتوافدون إليه، وينهلون من علمه، فقد قال عنه ابن خلكان: «كان قيمًا بعلم النحو، عارفًا بقوانينه، شرح كتاب (اللمع) لابن جني شرحًا تامًا حسنًا أجاد فيه، وانتفع بالاشتغال عليه جمع كبير»[(١)]، وقال عنه ياقوت الحموي: «إمام فاضل، وأديب كامل»[(٢)]، وقال عنه ابن كثير: «كان في غاية العلم بالنحو»[(٣)]، وقال عنه ابن العماد، والصفدي: إنه «أحد أئمة العربية بالعراق»[(٤)].

وقد اتصف الثمانيني بالدقة في النقل، والأمانة العلمية في نسب الأقوال لأصحابها وبالبراعة والجودة في تدريس النحو والصرف بأسلوب ميسر في مصنفاته وطريقته في عرض أفكاره، وتحليل المسائل النحوية، وبيان جميع الأقوال التي وردت فيها ، ومناقشة هذه الآراء ، كل هذا جعله من أئمة النحو البارزين الذين يشد لهم طلبة العلم الرحال لينهلوا من علمه الغزير، فأصبحوا نتيجة تلقيهم العلم على يديه علماء وأئمة بارزين في عصرهم ، فمنهم الأدباء والنحويون واللغويون.

ومما يؤكد براعة الثمانيني وتفرده من بين علماء عصره تصديه لشرح كتابي أستاذه ابن جني (اللمع) و(التصريف الملوكي) قبل غيره، إضافة إلى كونه شاعرا يتسم بذوق أدبي

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٤٧٩.

(٢) معجم الأدباء ٦/ ٥٧.

(٣) البداية والنهاية ١٢/ ٦٢.

(٤) شذرات الذهب ٣/ ٢٦٩، حوادث (٤٤٢هـ)، نكت الهميان ص٢٠٠.

رفيع، وقدرة فائقة على تحليل الشواهد الشعرية وشرحها ، فهذا كله جعله شخصية بارزة ومعلما بارعا واسع الثقافة ، وعرفت مجالسه بتدفق طلاب العلم من كل الأمصار ، فكانت مجالسه مركز إشعاع علمي

****

شيوخه:

اتفقت كتب التراجم على أن أبا الفتح عثمان بن جني هو شيخ الثمانيني ومعلمه، ولم تذكر لنا غيره، وبعد أن قرأت كتابه (شرح التصريف) وجدت له شيخا آخر هو (أبو القاسم الدقاق)، وقد ذكر ذلك قبلي الدكتور (إبراهيم البعيمي) محقق كتاب (شرح التصريف) في قوله: «وهذا كله عن أبي القاسم الدقاق رَحِمَهُ اللَّهُ»(١)؛ ولكن من الملاحظ أن أغلب الشارحين والمصنفين القدماء، كانوا يذكرون فضل معلميهم ومشايخهم، ويترحمون عليهم، ويبالغون بالثناء والدعاء لهم، بينما نجد علاقة الثمانيني بشيخه ابن جني فيها جفاء وإعراض، فلم يذكر اسم شيخه إلا مرات قليلة في كتبه الثلاثة: (شرح اللمع)، و(شرح التصريف)، و(الفوائد والقواعد) باسمه، بل يقول عنه: «قال صاحب هذا الكتاب»(٢)، أو «صاحب هذا المختصر»(٣)، وإن ذكر ابن جني في بعض كتبه فلا يترحم عليه، كما هو دأب الشارحين والمصنفين، بينما نجده يترحم على شيخه أبي القاسم الدقاق بقوله: «هذا كله عن أبي القاسم الدقاق رَحِمَهُ اللَّهُ...»(٤). فهذا حقا أمر يثير الاستغراب، فقد لاحظ هذا قبلي كل من الأستاذ الدكتور فتحي علي حسانين محقق كتاب (شرح اللمع)، والدكتور إبراهيم البعيمي محقق كتاب (شرح التصريف)، وأقف هنا حائرًا أمام هذه العلاقة غير المنسجمة، ولا أريد أن أخوض باقتراحات واستنتاجات يحيط بها الشك والوهم الذي لا يغني، ولا يسمن من جوع، وذلك لأن المصادر لم تسعفنا عن حياة الثمانيني إلا بالقدر اليسير، وقد ذكر البعيمي أكثر من احتمال لذلك، والتي منها أنه قد يكون الجفاء سجية من سجايا الثمانيني، أو للاختلاف العقدي، حيث كان ابن جني معتزليا، وقد يكون خوفًا من بطش الحنابلة المناوئين للمعتزلة عندما يسمعونه يمجد ابن جني(٥).

---

(١) شرح التصريف ص٧٧، ٣١٤.

(٢) انظر: الفوائد والقواعد ص٨٠، وشرح اللمع ١/ ٢٣٨.

(٣) انظر: الفوائد والقواعد ص٧٢٦، وشرح اللمع ٢/ ٨٩٩.

(٤) انظر: شرح التصريف ص٣١٤.

(٥) انظر: شرح التصريف ص٧٤- ٧٥.

تلامذته:

تتلمذ على يد الثمانيني جماعة من مشاهير النحاة واللغويين منهم:

١ - **الشريف أبو المعمَّر يحيى بن محمد بن القاسم بن محمد بن طباطبا العلويّ**[(١)]، ويرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ عن الثمانيني، وعن علي بن عيسى الربعي، وكان له شعر جيد، وقال ابن الأنباري: «رأيت له مصنفًا حسنًا في صفة الشعر» وكان شاعرًا وله شعر جيد كقوله:

حسودٌ مريضُ القَلْب يُخفِي أنينَهُ ... ويُضحى كئيبَ القلب عندي حَزينَهُ

يلومُ على أن رحتُ في العلم راغبًا ... أُجمِّعُ من عند الرواةِ فُنونَهُ[(٢)]

وله كتاب في صنعة الشعر، وقال عمر رضا كحالة: «إن له شرحا على اللمع لابن جني. وتوفي عام ٤٧٨هـ»[(٣)].

٢- **إسماعيل الإسكافي**[(٤)]**: أبو غالب إسماعيل بن المؤمِّل بن الحسين بن إسماعيل الإسكافي الضرير**، نحوي فاضل وأديب شاعر؛ فقال عنه الصفدي: «كان فاضلًا أديبا شاعرًا»، وقد ذكره الوزير ابن المسلمة حين قال: «لا أرى في النحو مفتوح العين إلا هذا المغمض العين»، ومن تلامذته عبد الله بن محمد بن باقياء الشاعر، وعبد المحسن بن علي التاجر، وتوفي سنة ٤٤٨هـ.

---

(١) انظر ترجمته في: نزهة الألباء ص٣٧٠، والمنتظم ١٦/ ٢٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٣، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٢، وهدية العارفين ٢/ ٥١٩، والأعلام ٨/ ١٦٤، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٢٦٠.

(٢) الأبيات من الطويل وانظر نزهة الألباء ص٣٧٠، والمنتظم ١٦/ ٥٤، ووفيات الأعيان ١/ ١٢٩، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٢.

(٣) معجم المؤلفين ١٣/ ٢٢٦.

(٤) انظر ترجمته في: نكت الهميان ص١١٩، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ٢/ ١٩٥، وبغية الوعاة ١/ ٤٥٤.

٣- **ابن الفتى الحلواني**[١]: هو سليمان بن عبد الله بن محمد الفتى الحلواني، أبو عبد الله بن أبي طالب النحوي من أهل نهروان قدم بغداد، وقرأ النحو على الثمانيني، وغيره، وذكر ابن الأنباري أنه دخل بغداد سنة ٤٣٠هـ. وتشاغل بالأدب على أبي القاسم الثمانيني، وغيره، كما نقل السيوطي في «بغية الوعاة» عن ابن النجار والقفطي: «قدم بغداد وقرأ النحو على الثمانيني وغيره»[٢]، وأخذ ابن الفتى عن أبي القاسم الثمانيني، وأبي الخطاب الحلبي، والأمير ابن ماكولا، وأبي الحسن علي بن الحسن بن الدهان، وأبي الطيب الطبري، وأبي الطلاب بن عَيلان، وأبي محمد الجوهري.

وذكر السيوطي[٣] أنه جال في العراق، ونشر النحو واستوطن أصبهان، وكان حاذقا في النحو إماما فيه، وقال عنه القفطي: «كان جميل الطريقة، فاضلا أديبًا، حسن الخلق، إماما في اللغة والنحو، وصنف كتاب التفسير»[٤]، ومن مصنفاته: التفسير على القراءات، والقانون في اللغة عشرة مجلدات، وشرح الإيضاح العضدي، وشرح ديوان المتنبي[٥]، وكان شاعرا مجيدا، توفي- رَحِمَهُ اللَّهُ- في الثاني عشر من صفر في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة- وقيل أربع وتسعين وأربعمائة[٦].

٤- **محمد الدَّسْكريّ**: أبو سعد محمد بن عقيل بن عبد الواحد الدسكري الكاتب[٧]،

---

(١) انظر ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٢٦٤، ودمية القصر ١/ ٢٧٤، ونزهة الألباء ص٣٦٩، ومعجم الأدباء ١١/ ٢٥١، وإنباه الرواة ٢/ ٢٦٠، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٩، وبغية الوعاة ١/ ٥٩٥.

(٢) بغية الوعاة ١/ ٥٩٥.

(٣) انظر: الإكمال ٧/ ٢٦٤، البلغة للفيروزأبادي ص١٠٧، وبغية الوعاة ١/ ٥٩٥.

(٤) انظر: بغية الوعاة ١/ ٥٩٥.

(٥) انظر: إنباه الرواة ٢/ ٢٧.

(٦) بغية الوعاة ١/ ٥٩٥.

(٧) انظر ترجمته في: نكت الهميان ص٢٢٠، وطبقات ابن شهبة الأسدي ٢/ ١٩٥- ١٩٦.

والدَّسْكر: قال عنها ياقوت: «قرية كبيرة تقع غربي بغداد، والدسكرة في اللغة الأرض المستوية[١]، وقد ذكر ابن النجار أن محمد بن عقيل بن عبد الواحد الدسكري ببغداد قال شعرًا أنشد إياه الثمانيني[٢].

معاصروه من النحاة:

كانت بغداد مركزا علميًّا حضاريًا تشع من نواحيها شتى العلوم النقلية والعقلية التي تميز بها المسلمون، وملجأً للثقافة العربية، وهذه الفترة تعد من أفضل العصور العلمية الإسلامية،؛ حيث ازدهرت الحياة العلمية في شتى أنواع المعارف، وبرز كثير من العلماء الذين ذاع صيتهم في البلاد الإسلامية فكان الثمانيني ممن عاصر تلك الحقبة الزمنية العلمية، ومن أبرز مشاهير النحاة واللغوين الذين عاصرهم أبو القاسم الثمانيني- رَحِمَهُ اللَّهُ - ومنهم من تتلمذ معه على يد شيخه ابن جني على سبيل الذكر وليس الحصر.

١ - **عبد السلام البصري اللغوي أبو أحمد**[٣]: كان بارعا في علم اللغة والأدب وتولى دار الكتب ببغداد، وقرأ على الفارسي والسيرافي وابن جني وغيرهم- توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٤٠٥هـ).

٢ - **أبو الحسن السِّمساني**[٤]: أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السمساني اللغوي، كان حسن الخط، وكان في غاية الإتقان، وكتب أكثر كتبه بخطه، وأخذ عنه

---

(١) معجم البلدان ٢/ ٤٥٥.

(٢) انظر: ذيل تاريخ بغداد ٥/ ٥٥.

(٣) انظر: نزهة الألباء ص٣٣٨، وإنباه الرواة ٢/ ١٧٥، ١٧٦، وإرشاد الأديب ١٢/ ١٠٩.

(٤) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠، ونزهة الألباء ص٣٣٩، ومعجم الأدباء ١٤/ ٥٨، وإنباه الرواة ٢/ ٨٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢١٢، وبغية الوعاة ٢/ ١٧٨.

الخطيب البغدادي، وقال عنه: «صدوق»[(١)]، وتوفي سنة ٤١٥هـ.

٣ - **أبو الحسن الرَّبْعي**[(٢)]: علي بن عيسى الفرج بن صالح الربعي النحوي، كان أحد أئمة النحو في زمانه، رحل إلى شيراز فلازم الفارسي حتى قال له: «ما بقي شيء تحتاج إليه، ولو سرت من المشرق إلى المغرب لم تجد أحدًا أعرف منك بالنحو»، فرجع إلى بغداد وأقام فيها[(٣)]، وله مصنفات، منها: شرح على الإيضاح العضدي، وشرح على مختصر الجرمي، وكتاب البديع في النحو، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شرح المتنبي وغيره، توفي سنة ٤٢٠هـ.

٤ - **ابن برهان العكبري**[(٤)]: أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان الأسَدي العُكبري النحوي، عُرِفَ بين الناس بالزهد والورع، قال عنه السيوطي في البغية: «صاحب اللغة في العربية وأيام العرب»، قرأ على عبد السلام البصري، وأبي الحسن السمسماني، وابن بطة العكبري، وأبي القاسم الدقاق، وله شرح على (اللمع) لابن جني، وله كتاب أصول اللغة، وتوفي ببغداد سنة ٤٥٦هـ.

٥ - **ابن سِيدَهْ**[(٥)]: علي بن إسماعيل بن سيده اللغوي النحوي، وقيل اسم أبيه محمد، وقيل: إسماعيل، وكان عالما حافظًا وضريرا، وكذلك أبوه كان ضريرًا، وعالما باللغة أيضًا،

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٧، ونزهة الألباء ص٣٤١، ومعجم الأدباء ١٤/ ٧٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٩٧، والفلاكة والمفلوكون ص١٤٧، وبغية الوعاة ٢/ ١٨١.

(٣) بغية الوعاة ٢/ ١٨١، ونزهة الألباء ص٣٤١، والفلاكة والمفلوكون ص١٤٧.

(٤) انظر: معجم الأدباء ١٩/ ١٩٧، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٣، وفوات الوفيات ٢٠/ ٤١٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٢٠.

(٥) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس ٢/ ٤٩٣، وبغية الملتمس ص٤١٨، وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٣٠، ونكت الهميان ص٢٠٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٤٣، ونفح الطيب ٣/ ٣٠٨.

ويعد ابن سيده من علماء اللغة الأفذاذ حتى صار من علماء عصره المشار إليهم بالبنان وله: (المحكم والمحيط الأعظم)- معجم ألفاظ- وله (المخصص)- معجم معان- وكان كتابه المحكم أحد مصادر ابن منظور في كتابه (اللسان)، كما يُعدّ كتابه (المخصص) أوسع معجم معانٍ في اللغة العربية، كما ذكر السيوطي في البغية، وله: شرح إصلاح المنطق، وشرح الحماسة، وشرح كتاب الأخفش، وغير ذلك، توفي - رَحِمَهُ اللَّهُ- سنة ٤٥٨هـ.

٦- **مكي بن أبي طالب**[(١)]: أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حمُّوش القيسي القيرواني القرطبي المقرئ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان،سمع بمكة، ورحل إلى المشرق مرات، وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية حسن الفهم والخلق، وتتلمذ على يد أبي الطيب بن غلبون، وابنه طاهر، ومحمد بن علي الأذفوي، وله مصنفات عديدة في كتب القراءات وغيرها، منها: (الهداية إلى بلوغ النهاية) ، وله (منتخب الحجة) ، و(التبصرة في القراءات)، و(إعراب مشكل القرآن)، و(الكشف عن وجوه القراءات السبع)، و(الهداية في التفسير) وغيرها من المصنفات ، وتوفي - رَحِمَهُ اللَّهُ- في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ٤٣٧هـ.

٧- **الأعلم الشنتمري**[(٢)]: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري، كان عالما بالعربية والأشعار ، حافظا لها، ولد عام ٤١٠هـ، وأخذ عن أبي بكر مسلم بن أحمد بن أبي أفلح، وأبي القاسم إبراهيم بن محمد الأفليلي، وأبي سهل يونس بن أحمد بن

---

(١) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس ٢/ ٥٦١، وبغية الملتمس ص٤٦٩، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٣١، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٧٦، وإنباه الرواة ٣/ ٣١٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٤ ، وبغية الوعاة ٢/ ٢٦٨.

(٢) انظر ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٨١، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٦، وإنباه الرواة ٤/ ٦٥، ووفيات الأعيان ٧/ ٨١، ونكت الهميان ص٣١٣، وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٦، والأعلام ٨/ ٢٣٣.

الحران، وغيرهم، ومن مؤلفاته : (النكت في تفسير كتاب سيبويه)، وله شرح على شواهد سيبويه سماه: (تحصيل عين الذهب)، و(شرح حماسة أبي تمام) و (شرح الجمل للزجاجي)، و(شرح أبيات الجمل)، توفي الأعلم سنة ٤٧٦هـ.

آثاره العلمية ومصنفاته:

ترك لنا الثمانيني مصنفات قليلة؛ إذ لم يكن كثير التأليف كمعاصريه، وعلى الرغم من قلتها كانت آثاره شاهدة على مكانته العلمية وسعة أفقه، وقد شهد العلماء له بالإجازة والإفادة عن كتابه «شرح اللمع» فقال ابن خلكان: «شرح كتاب (اللمع) لابن جني شرحًا تامًا حسنًا أجاد فيه»[(١)].

ومصنفات الثمانيني هي:

١ - شرح اللمع:

لقد حظي كتاب «اللمع» لابن جني من العناية حظا كبيرا؛ فهو يعد من أشهر كتبه وأهمها في علم النحو؛ حيث عرضه عرضا شائقا، فجاء الكتاب مرتبا، سهل المأخذ، قريب المتناول، فظهر في صورة واضحة صادقة لغزارة علمه، وتمكنه وتبحره في علم النحو، وتصدر كتاب (اللمع) كتب النحو التي كان يشتغل بها الناس في تدريس النحو آنذاك، قال القفطي: «إن كتاب (الجمل) كان كتاب المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني والإيضاح لأبي علي الفارس»[(٢)]، فلا عجب أن يكون هناك شروح عده لكتاب قد حظى بالشهرة كـ(اللمع)؛ فشرح الثمانيني لكتاب «اللمع» هو أقدم الشروح، وقد نهج الثمانيني في ترتيب أبواب كتابه (شرح اللمع) نهجا يوافق أستاذه ابن جني من حيث الترتيب العام للكتاب، كما بدأ شرحه بلا مقدمة، وأنهاه بلا خاتمة مقتفيا في ذلك أثر شيخه ابن جني في (اللمع)، كما يتميز أسلوب شرح الثمانيني بالسهولة، ويتسم بالسمة التعليمية، ويخلو من الإبهام ويحرص على تعليل القضايا النحوية فيه، وإظهار أسرار

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٣.

(٢) إنباه الرواة ٢/ ١٦١.

المسائل التي تكتنفها، ليسهل على المتلقي من طلبة العلم فهمها.

كما اتسم كتاب (شرح اللمع) بالاختصار ونعته بـ«المختصر» كما تبع الثمانيني شيخه في عدم ذكر أبواب الصرف في آخر الكتاب، متبعًا منهجه في ترتيب الأبواب النحوية دون تقديم أو تأخير بداية من «باب الكلام» وختاما بباب الإمالة، وقد قام بتحقيق كتاب «شرح اللمع» للثمانيني الأستاذ الدكتور/ فتحي علي حسانين، ونال به درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر عام ١٩٨١م.

٢ - شرح التصريف الملوكي:

ألف ابن جني في علم التصريف كتابه (مختصر التصريف) كما سماه في إجازته لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر[(١)].

وعرف هذا المصنف باسم (التصريف الملوكي)، وأكد ذلك ابن الشجري؛ إذ قال: «وقد رد هذا القول ابن جني في كتابه اللطيف التصريف الذي سمّاهُ الملوكي»[(٢)]، كذلك طاش كبرى زاده في كتابه (مفتاح السعادة)؛ حيث قال: «وصنف بالتصريف أبو الفتح بن جني مختصرا سماه (التصريف الملوكي)»[(٣)].

وذكر ابن النجار في ترجمته للثمانيني أنه شرح كتاب اللمع، وكذلك التصريف الملوكي اللذيْن ألفهما ابن جني[(٤)].

بينما زعم البغدادي في الخزانة أن التصريف الملوكي للمازني[(٥)]، وهذا لا شك فيه أنه

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ١١٠، ونزهة الألباء ص٢٥٦، والبلغة ص١٧١.

(٢) الأمالي الشجرية ١٢/ ١٠٢.

(٣) مفتاح السعادة ١/ ١٣٠.

(٤) ذيل تاريخ بغداد ٥/ ٥٥.

(٥) انظر: الخزانة ٧/ ٢٠٥.

وهم من البغدادي؛ لأنه التبس عليه؛ فخلط بين المنصف والتصريف- وقد أزال هذا اللبس الذي وقع فيه صاحب الخزانة الدكتور/ إبراهيم البعيمي[١] في تحقيقه كتاب (شرح التصريف) للثمانيني، وقد أجاد الدكتور/ البعيمي في سرد البراهين والحجج التي تثبت صحة الأقوال التي نسبت (التصريف الملوكي) لابن جني، وليس للمازني.

فالتصريف الملوكي من المصنفات المختصرة في علم الصرف؛ فهو لم يشتمل على جميع أبواب الصرف بل أحاط ببعضها وأغفل بعضًا.

٣ - المفيد في النحو:

نسب أصحاب التراجم هذا المصنف للثمانيني، واختلفوا في رسمه ، فقيل : إنه بالفاء (المفيد) وقيل : إنه بالقاف(المقيد) [٢].

وقال د/ فتحي علي حسانين: «والذي يبدو لي أنه تحريف للاسم الصحيح، فقد ضبطه (بالفاء) ياقوت في معجمه، وابن شهبة الأسدي في طبقاته، وغيرهما من النقاد[٣]، ولأن لابن جني كتابًا بهذا الاسم[٤]، فليس من المستبعد أن يكون كتابه هذا شرحًا لكتاب ابن جني، كما شرح له (اللمع)، و(التصريف الملوكي)، أو أنه من تأليفه هو، ولكنه حذا حذو شيخه في تلقيبه بهذا الاسم»[٥].

---

(١) شرح التصريف للثمانيني ص١١٦- ١١٩.

(٢) ضبطه بالقاف السيوطي في بغية الوعاة ص٣٦٠، والصفدي في نكت الهميان ص٢٢٠، والزركلي في الأعلام ٥/ ٢٠٠ وفي سائر المراجع الأخرى بالفاء.

(٣) انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٣، ومعجم الأدباء ١٦/ ٥٧، ٥٨، وطبقات النحاة لابن شهبة ٢/ ١٩٥، ١٩٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٧٩، ووفيات الأعيان ١/ ٤٧٩، ٤٨٠.

(٤) هدية العارفين ١/ ٧٨١، ٧٨٣.

(٥) مقدمة شرح اللمع ١/ ٤٢.

٤ - كتاب الفوائد والقواعد:

من أهم كتب النحو التي ألفت في أواخر القرن الرابع وأواخر القرن الخامس الهجريين، ويأتي كتاب (الفوائد والقواعد) للثمانيني بعد كتب أبي علي الفارسي، وتلميذه ابن جني، وكأنما كبر على أبي القاسم الثمانيني أن يخرج من هذه الحلبة العلمية بشرحين لأهم كتابين من كتب أستاذه ابن جني وهما (شرح اللمع)، و(شرح التصريف الملوكي) فقط، وهو الأستاذ والمعلم الذي تصدر للتدريس زمنا بمسجده بالكرخ، في بغداد فآل على نفسه أن يكون له من التأليف ما يختص به هو حتى لا يكون حملا على مؤلفات غيره في مجال الشروح، أو على مصنفات أستاذه في مجال الإفادة والتدريس، فألف (المفيد)، و(الفوائد والقواعد)[١].

وكتاب (الفوائد والقواعد) قام بتحقيقه الدكتور/ عبد الوهاب محمود الكحلة الأستاذ بجامعة الموصل في العراق في ثمانمائة وثلاث وستين صفحة بالإضافة للدراسة والفهارس ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ٢٠٠٢م.

وقد اقتفى الثمانيني منهج كل من سيبويه وابن جني في تأليف كتابه، حيث لم يجعل له مقدمة، ولا خاتمة شأن المؤلفين المحدثين، بل دخل في جميع أبواب النحو والصرف مباشرة بدءا بتعريف الكلمة، وأقسام الكلام، والإعراب والبناء، ثم أحكام المرفوعات، فالمنصوبات، فالمجرورات، فالتوابع، كما ذكر جموع التكسير، والنسب، والتصغير ، وغيرها مما له علاقة بالتصريف، ثم خاتمة الكتاب.

وقد نهج الثمانيني في بناء مادة كتابه منهجا تعليميا، اختلف فيه عمن قبله، فجاء منهجه ميسرا سلسا واضحاوافيا لقواعد النحو، مكثرا في أمثلته وشواهده، وفوائده ، وألفاظه

---

(١) انظر: شرح اللمع ١/ ٤٣، وشرح التصريف ص١٠٢، والفوائد والقواعد (ط).

واضحة لا غموض فيها ، وأساليبه سهلة لا تخفى على قارئها، ولا تستغلق عليه، وجاءت مسائل الكتاب منتظمة تقوم على منهج علمي سليم.

واتخذ الثمانيني طريقة ميسرة في عرضه للقاعدة النحوية ، مستعينا بالأمثلة مع شرحها وتوضيحها.

وقد ذكر الدكتور عبد الوهاب الكحلة أن الثمانيني كان يعرض مسائله بأسلوب (الفنقلة) بذكر السؤال الذي يتوقع أن يوجه إليه، ثم يذكر الإجابة عليه، وهو أسلوب تعليمي تربوي معروف، ومعتد به في مجال التعليم والتدريس، لما فيه من تشويق للطالب، وإلهاب لشغفه في المتابعة[١]، ولا ريب في أن مرد ذلك إلى ظروفه الخاصة العامة، لكونه مكفوف البصر، وكان يعتمد اعتمادًا كليا ومباشرا على ذاكرته وحافظته دون الرجوع إلى نص مكتوب.

وقد صنع الثمانيني بمنهجه في مؤلفه «الفوائد والقواعد» عملا يستكفي به الناظر في أيامنا عن النظر في المصنفات المطولة ؛حيث إن كتابه هذا جاء وافيا بأسلوب علمي ميسر .

وقد لجأ الثمانيني في عرض رأيه إلى التشبث بالدليل العقلي، المعروف عند النحاة بالسبر والتقسيم وهو ذكر جميع الاحتمالات والافتراضات التي ترد في المسألة الواحدة، ثم يقوم بتفنيد كل رأي على حدة مؤيدًا رأيه الذي انتهجه، وسار عليه وغالبًا ما يكون رأي جمهور البصريين، كما ذكرت في ثقافته النحوية والصرفية التي بينت فيها أنه بصري المذهب.

****

(١) انظر الفوائد والقواعد مقدمة المحقق ص (كو)

وفاته:

ذكر ابن النجار البغدادي أن الثمانيني توفي يوم الأحد ، أول ذي القعدة ، سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة هجرية (٤٤٢هـ) في مدينة الموصل وقيل في بغداد [١].

وقد ذكر ياقوت الحموي أنه توفي عام أربعمائة واثنين وثمانين هجرية (٤٨٢هـ)[٢].

وقد ذكر د. فتحي حسانين ، ود. عبدالوهاب الكحلة ، و. إبراهيم البعيمي أن هذا وهم يخالف ما عليه أصحاب التراجم، والصحيح أنه توفي عام أربعمائة واثنتين وأربعين[٣].

❁❁❁

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، طبعة دار المعرفة- بيروت- سنة ١٩٧١م، ٢/ ٧٦٥.

(٢)معجم الأدباء ١٦/ ٥٨.

(٣) انظر: كتاب شرح اللمع د. فتحي علي حسانين ١/ ٤٨ والفوائد والقواعد ص (ي) وشرح التصريف ٦٩ - ٧٠.